فتاوى المنار

قصدنا بهذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من روسيا ﴾

(س ١٢ — ١٦) من الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس

سيدي الفاضل اعرض على حضرتكم مايأتي بيانه لمحض الاستفسار والاستنباء وان كان في صورة الانتقاد وهو : اني قرأت في الجزء الثالث من المجلد العاشر من مجلة المنار الغراء في قسم التفسير عند قوله تعالى « ويطعمون الطعام » الآية حديثا طويلا مرويا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد رأيت في (نوادر الاصول في معرفة أخبار الرسول) للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي رحمه الله انه عد هذا الحديث من المنكرات حيث قال في الاصل الرابع والاربعين فيما يعدونه صدق الحديث بعد ماساق الحديث الى آخره : هذا حديث مزوق قد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين والجاهل يمض على شقيه تلهفا الايكون بهذه الصفة ولا يدري ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله عز وجل في تنزيله الكريم «ويسألونك

ماذا ينفقون قل العفو» وهو الذي يفضل عن نفسك وعيالك قال صلى الله عليه وسلم «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول» واقترض الله على الازواج النفقة لاهاليهم وأولادهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء إثما ان يضيع بما يقوت» أفيحسب عاقل أن عليا رضي الله عنه جعل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صغارا من ابناء خمس او ست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون بخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما به من الجهد ؟ هب انه أثر في نفسه هذا السائل فهل كان يجوز له ان يحمل على اطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ هذا ما ذكره الحكيم الترمذي في وجه التنكير الا ان المتدبر لو تدبر في احوال هؤلاء الكرام لا يستبعد وقوع هذا الحال منهم ولذا لم يتبين لي وجهه والمأمول من الاستاذ ايضاح ذلك حتى ترتفع الشبهة .

٢ الفونغراف — وقد رأيت أيضا في هذا الجزء في قسم الفتاوي سؤالا يتعلق بالفونوغراف فخطرت لي عند ذلك مسائل اخرى تتعلق به وهي هل يجب السجدة على من سمع آية السجدة منه ؟ وان شخصا لو شهد بواسطة الفونغراف أو أودع الوصية فيه هل تقبل شهادته وتنفذ وصيته ام لا ؟ واني أظن ان السجدة تجب على السامع اذ هو كالاستماع عن انسان وانما الفونغراف آلة للاستماع فقط وكذا الشهادة والوصية ينبغي ان تكون صحيحة نافذة مهما ميز صوتها فان الاصوات متمايزة في التليفون والفونغراف حتى اننا لو سمعنا صوتا معروفا لنا من قبل نقول انه صوت فلان ولا نشتبه فيه فيكون ذلك في حكم الاستماع عن نفس القائل والله اعلم .

٣ التجارة بالجلود — ان اخواننا المسلمين في سبريا الروسية غالبهم يتجرون بالجلود وفيها جلود ميتة غير مدبوغة وجلود غير مذكاة وانهم يسألون عنها ويستفتون ما حكمها الشرعي وربما تكون المعاملة بين المسلمين بالطائفة القرغزية فما حكم ذلك شرعا؟ هل تكون فيها توسعة ان قلنا ان دارنا دار حرب ومذهبنا يوسع فيها في عدة مسائل كمسئلة الربا بامثلاله هذه المعاملة مما تعم به البلوى في تلك الاقطار والمرجو من الاستاذ حل هذه المسئلة بحيث يخرجها عن الشبهة ولا يوقع حرجا ان شاء الله تعالى

٤ الامامة — ان رجلا قطعت احدى رجليه من فوق الكعبين قدم صناعية

وكان اماما في بلدة منذ سنين والآن وقع خلاف بين علمائنا في صحة امامته فمن قائل انها لا تجوز والاكثر على الجواز ونحن لم نر في الكتب التي بأيدينا أن صحة القسم من شرط الامامة ولذا لا أرى بأسا في إمامته متى وجد سائر الشروط المهمة وأرجو من الاستاذ بيان ذلك أيضا حتى يندفع الاختلاف بيننا

ه النسخ — هل هو من اصول الدين بحيث لا يجوز الخلاف فيه ام هو مسئلة خلافية بين المسلمين كما ذكره الفاضل محمد توفيق في مقالة الناسخ والمنسوخ وهو يقول ان أبي بن كعب رضي الله عنه قال بعدمه اي بعدم نسخ القرآن بالقرآن واستشهدوا عليه بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معزوا الى البخاري الا اننا لم نر نقلا آخر سوى ماذكره عن أبيّ مايؤيد هذا القول وليس في هذا القول أيضا تصريح بعدم النسخ وانما يحتمله كما يحتمل غيره ولا يقطع بالاحتمال مراد القائل ولم يذكر خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم في هذه المسئلة ثم ان أبا مسلم رحمه الله الذي نسب صاحب المقالة هذا القول اليه هل يعتبر قوله بحيث نعده خلافا في المذهب فبعضنا يقول ان النسخ لا خلاف فيه بين اهل السنة وانما هو خلاف نشأ من الاعتزال ولكن لم يظهر لي وجه هذا القول أيضا فان النسخ ليس من مواد الخلاف بين السني والمعتزلي فيما اعلم والله اعلم. وذكر ابن امير الحاج في شرح التحرير خلافا في نسبة هذا القول الى ابي مسلم حيث قال حكى الرازي والآمدي وابن الحاجب انكاره وقوع النسخ مطلقا وقيل لم ينكر وقوعه وانما سماه تخصيصا فعلى هذا يصير النزاع لفظيا والله أعلم. والمأمول من الاستاذ تفصيل هذه المسألة وتحقيقها كما وعد في ذيل تلك المقالة وكما تفضل بالاجوبة الشافية في المسائل السابقة

العبد المستفيد من علمكم الوافي

محمد نجيب ابن الاستاذ شمس الدين محمد الحاج المرصع التوتاري

الجواب عن أثر علي وآله عليهم السلام

إنا قد ذكرنا ذلك الاثر في الإيثار لاجل العبرة به وقد أشرنا الى ضعف الرواية بقولنا « ويروى » ولم نثبته في تفسير الآية بل وعدنا بذكره في تفسير

سورة الانسان ان أنسأ الله لنا في العمر وعند ذلك نذكر مكان الرواية والمسألة. وما قاله الحكيم الترمذي بعضه وجيه مقبول، وبعضه منتقد مردود، والإيثار مرتبة وراء مرتبة تقديم الانسان نفسه على من تجب نفقتهم عليه من أهل وولد، وتقديم هؤلاء على غيرهم وقد ورد في الصحاح ان كبار الصحابة آثروا على أنفسهم وأولادهم مع الفقر وشدة الحاجة فكان ذلك سبب ثناء الله عليهم بقوله (٥٩: ٩ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وقد حررنا هذا البحث في المجلد الثاني من المنار (راجع ص ١١ و ١٧ منه) ولا يبعد ان يقصد علي وفاطمة تربية ولدهما على الإيثار ان صح الاثر من طريق الرواية بنصها او مبالغة فيها ولا حاجة الى التطويل في ذلك فالخطب فيه سهل

الجواب عن مسائل الفونغراف

انما شرع السجود عند تلاوة أو سماع الآيات المخصوصة الآمرة بالسجود او المرغبة فيه لإظهار الخضوع والامتثال ومن سمع القرآن من الفونغراف صدق عليه انه سمع القرآن فالظاهر انه يشرع له السجود عند سماع آية السجدة منه. وإنما عبرنا بشرع دون يجب لانا نرى أن السجود مستحب لا واجب كما تدل على ذلك الاحاديث الصحيحة وعليه الشافعية

واما الشهادة والإقرار والوصية وسائر المعاملات الدنيوية فالعبرة في ثبوتها أن تكون بحيث يوثق بصدورها ممن صدرت عنه ويؤمن من التزوير فيها لأنها ليست من المسائل التعبدية التي يوقف فيها عند نص الكتاب وما مضت به السنة بلا زيادة ولا نقصان فاذا وثق القاضي بشهادة الفونغراف مثلا كانت بينة شرعية صحيحة لان البينة كل ما تبين به الحق كما حققه ابن القيم وذكرناه في المنار من قبل

الجواب عن مسألة جلود الميتة

روى أحمد والشيخان واصحاب السنن الثلاثة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الشاة الميتة « هلا انتفعتم بجلدها » وهذا اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى له « هلا استمتعتم باهابها » والاهاب ككتاب الجلد او مالم يدبغ منه كما في القاموس . ولفظ احمد ومسلم وغيرهما « هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم

به » فقالوا انها ميتة فقال « انما حرم اكلها » وذكر الدباغ بيان لطريق الانتفاع وليس فيه حصر وفي لفظ لاحمد : ان داجنا لميمونة ماتت فقال رسول الله (ص) « ألا انتفعتم باهابها ألا دبغتموه فانه ذكاته » اي ان الدباغ مطهر كالذكاة. ولا ينافي هذا جواز الانتفاع بالإهاب غير المدبوغ كما تدل عليه الرواية المطلقة . وروى مالك وابو داود والنسائي وابن حبان من حديث ميمونة ان رسول الله (ص) مر به رجال يجرون شاة لهم مثل الحمار فقال « لو أخذتم اهابها » فقالوا انها ميتة فقال « يطهرها الماء والقرظ » صححه ابن السكن والحافظ . ولعل هؤلاء لو اكتفوا بأمره اياهم باخذ اهاب الميتة والانتفاع به لكفاهم ولم يذكر لهم غيره وحسبك بعبارة الحصر في قوله « انما حرم اكلها » اي لا الانتفاع بها . وحديث « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » قد أعل بالاضطراب والارسال فلا يعارض هذه الاحاديث الصحيحة ولا ينسخها . ولا يعارضها ما ورد في النهي عن شحوم الميتة فانها عام يؤكل فسدت الذريعة اليه . ومثل ما قيل في النهي عن استعمال جلود السباع انها مدعاة القسوة والكبر

هذا وان المراد بالتنزه عن النجاسة هو ان يكون المؤمن طاهرا نظيفا بعيدا عن الاقذار وما فيها من المهانة والمضار ولذلك كان الدباغ مطهرا لانه يزيل العفونة والرطوبة التي ينتن بها الجلد فكل ما يزيل ذلك فهو دباغ مطهر والذين يشترون جلود الميتة لا يتركونها بغير دباغ ولا معالجة حتى تفسد عليهم بل يعالجونها حتى ينتفعوا بها فالذي أراه وأعتقده ان التجارة بهذه الجلود جائز شرعا لا إثم فيه ولا حرج . واذا باعها المسلم من غير المسلمين كان لجواز البيع وجه آخر عند الذين يقولون ان المخالفين لا يكلفون العمل بفروع الشريعة وعليه الحنفية . ووراء هذا كله ما أشار اليه السائل من ان التزام العقود الصحيحة في المعاملات انما يجب في دار الاسلام الا ان يقال ان في النهي عن بيع النجس معنى غير كونه عقدا فاسدا . والعمدة في المسألة ما ذكرناه أولا والله أعلم بالصواب

الجواب عن مسئلة الامامة

الظاهر من السؤال ان الامام المسئول عن امامته يأتي باعمال الصلاة كلها تامة

وحينئذ يكون موضع الوقفة في صحة إمامته كون احدى رجليه من الخشب وهذا لايصلح مانعا من صحة الامامة وقد ثبت في صحاح الاخبار والآثار اقتداء الناس بالامام يصلي جالسا للمرض واختلف العلماء فيمن يقتدون به فقال بعضهم يصلون قاعدين مثله وادعى ابن حزم إجماع الصحابة والتابعين على هذا. وقال بعضهم يصلون قائمين وفصل بعضهم في ذلك . والاصل ان كل من صحت صلاته صحت امامته . ومن استثنى من هذه القاعدة بعض من تصح صلاته للضرورة ولا تصح إمامته كالذي لايحسن القائحة لم يستثن من ذهب احد اعضائه فاتخذ له بدلا من معدن او خشب لهذا الأخير وجها للخلاف في صحة إمامة الامام المسئول عنه

الجواب عن مسألة النسخ بالاجمال

لا أتذكر انني رأيت في الحديث ذكر النسخ والاصل عندهم في هذه المسألة قوله تعالى (٢ : ١٠٠ ماننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أومثلها) والآية في اللغة العلامة والعبرة . وقالوا قد سميت الطائفة المخصوصة من القرآن آية لانها علامة يفضى منها الى غيرها : او لانها علامة دالة على الحق ، والنسخ في أصل اللغة نقل كتاب عن كتاب وجعل الزمخشري في الاساس قولهم : نسخت الشمس الظل من المجاز والمعنى في كل منهما التحويل الا ان الاول تحويل لمثل الشيء والثاني تحويل لعينه . وورد اللفظ بمعنى الازالة والتغيير كقولهم نسخ الشيب الشباب ونسخت الريح آثار الديار

وقد ورد ذكر النسخ في كلام السلف وائمة الفقه واصطلح علماء الاصول على تعريفه المشهور وهذا في كلام السلف اعم من ذلك فالنسخ في الجملة متفق عليه ولكن وقع الخلاف في تفسيره وفي جزئياته والآية ليست نصا في قول أحد من المختلفين ولا حديث يحتج به في تفسيرها ولا في نسخ شيء من القرآن وانما مدار البحث والاجتهاد فيها على تعارض النصوص و المروي من الآثار وفيه جرت المناظرة بين الدكتور محمد توفيق افندي صدقي والشيخ صالح اليافعي فعند ماتنتهي المناظرة يكون لنا كلمة أخيرة في المسألة وقد كنا بدأنا بكتابة مفصلة ثم جاءنا الرد الآتي من الدكتور صدقي فأمسكنا عن اتمام ما شرعنا فيه

﴿ التعبير عن الملائكة والجن بالقوى ومعرفة حقيقتهم ﴾

(س ١٧) ورد هذا السؤال على الاستاذ الامام من صاحب الامضاء في ٦ يونيه سنة ١٩٠٥ فبعث به الاستاذ الى صاحب هذه المجلة ليجيب عنه في المنار كما كان يفعل أحيانا في امثال هذه المسائل وقد كان ضاع بين الاوراق ثم عثرت عليه في هذه الأيام وهذا نصه :

فضيلتلو سيدي الاستاذ الحكيم

بكل أدب واحترام لاثقين لهذا المقام أتقدم لابلغكم أوفر التحيات وأزكى السلامات والشكر على خدماتكم الدينية وقيامكم بتأدية الحقوق العلمية وتقوية السلطة الدينية الاسلامية أدامكم الله ركنا منيعا للوراثة المحمدية . وبعد فياحضرة الاستاذ لما بيني وبينكم من المودة الايمانية أحب مطالعة أقوالكم لأستعين بها على نزع ما اعتراني من البدع والخرافات الباطلة ولله الحمد فقد رأيت الفائدة فلله الشكر ولكم والله أسأل ان يطيل حياتكم ويكثر من أمثالكم

استاذي بينما كنت انظر في نفيس تفسيركم لسورة قل اعوذ برب الناس اذ وجدت ما يأتي . حضرتكم قلتم « قد وصف الله الوسواس الخناس بقوله : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس » وقلتم « من الجنة والناس بيان للذي يوسوس او بيان للوسواس الخناس فالموسوسون قسمان قسم الجنة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ولكن نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم ولكل واحد من الناس شيطان وهي قوة نازعة الى الشر » الخ

فيتم حضرتكم بان الجن خلق مستترون لانعرفهم فهل المراد لانعرف كافة احوالهم من ابتداء نشأتهم مع كون القرآن مصرحا بانهم خلقوا من مارج من نار في آيات كثيرة والحديث مصرحا بان الشيطان يسري في جسم الانسان مسرى الدم كما كان يسري في الآلهة لمعبوديهم ونعرف ايضا ان النبي بعث لهم وكلفهم بالرسالة فمنهم من آمن ومنهم من كفر فهذا كله يثبت لنا ان الجن موجودون بحقائق غير

حقائقنا وانهم يقدرون على التشكل بشكل ما . ثم حضرتكم قلتم « وانما نجد في أنفسنا أثرا ينسب اليهم » فهل ينسب اليهم حقيقة او مجازا مع كونكم جعلتم هذا الاثر للشيطان الذي قلتم عنه بانه « قوة من جملة القوى الانسانية » فكأنه لا شيطان ولا ابليس وكأن هذه القوة هي التي أمرها الله بالسجود فتكبرت فلعنها الله وقالت « انظرني الى يوم يبعثون » فلأغوينهم اجمعين » وكأنها هي التي قال لها الله « وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان — اي القوة — الا غرورا » وكأنها هي التي بعث لها المصطفى يبلغها الرسالة وكأنها هي المذكورة في قوله (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الخ قل (أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) أي القوى وكأنها كانت تتلقى السمع لتبلغه لرئيسها فلما بعث النبي أرادت ان تتلقى السمع فأصيبت بشهاب قبس . وبكل احترام لمقامكم وعدم الاعتراض لاقوالكم اطلب الايضاح عن ذلك لان فكرتي متشتتة الآن مع بيان كيف حقيقة الجان وكيف كان خطاب المصطفى لهم لتأدية الرسالة وبيان ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه اشفى المصروع وأخرج من جسده الجان مع ان الحكماء تنكر ذلك والظاهر للعقل هذا مع بيان التوسل بالنبي والصالحين في الدعاء ولكم الشكر

كاتبه ولدكم
محمود فهمي
باشمهندس ري مديرية الدقهلية

(ج) قول الاستاذ الامام رحمه الله في الجن « هم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم » هو الاصل عند المسلمين وكذا اهل الكتاب في هذا الباب . والمراد لا نعرف حقيقتهم لانهم من الخلق المغيب عنا . وما جاء في القرآن من خبر خلقهم وغير ذلك لا ينافي كوننا لا نعرف حقيقتهم وكذلك أخباره عن جميع عالم الغيب لا يقتضي اننا نعرف حقيقة ذلك العالم . والعلم بأن الجان خلق من المارج لا يفيدنا معرفة حقيقته بل ولا ظواهر صفاته ومميزاته كما ان خلق الانسان من طين لا يبين حقيقته ولا مميزاته . ومثل ذلك يقال في تكليفهم . وظاهر قوله تعالى في سورة الجن (٧٢ : ١ قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن) الخ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم

برهم حين سمعوا منه القرآن فآمن بعضهم وكفر بعض . وقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس التصريح بذلك قال في تفسير الآية « ما قرأ رسول الله (ص) على الجن ولا رآهم » الخ ولكن روي عن ابن مسعود انه رآهم وقرأ عليهم وقال ابن تيمية ان ابن عباس علم ما دل عليه القرآن ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة من إتيان الجن له الخ فحسبك من أمر تكليفهم ان حبر الامة ابن عباس كان يعتقد بحسب فهمه للقرآن ان النبي (ص) لم ير الجن وانما اوحى الله اليه انهم سمعوا منه القرآن ونزل عليه فيهم (٤٦ : ٢٩ واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) واذا صح حديث ابن مسعود وابي هريرة في رؤيته إياهم ومكالمتهم فذلك لا يدل على انهم صاروا من عالم الشهادة واننا صرنا نعرف حقيقتهم فان الله قد يطلع رسله على بعض غيبه وذلك خصوصية لهم كما قال في سورة الجن (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا ٢٧ الا من ارتضى من رسول) الخ

وكذلك حديث صفية عند الشيخين وغيرهما « ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » لا يدل على حقيقة الشيطان ولا يجعلها معروفة لنا والحديث تمثيل لا حقيقة كقول الشاعر * جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * وليس فيه « كما كان يسري في أعضاء الآلهة » كما قال السائل . وقد قال تعالى في الشيطان (٧ : ٢٧ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) . وقوله انه صح ان النبي شفا المصروع واخرج من جسده الجان لا أدري من أين جاء به السائل على انه لا يدل على اننا نعرف حقيقة الجان

واما تعبيره عنهم بالقوى فقد كنا نقلناه عن الاستاذ الامام في تفسير سورة البقرة فانكره بعض الناس وان ورد مورد التأويل لحاجة المنكرين لعالم الغيب فطلبنا منه ان يوضحه فأوضحه بكتابة بليغة زادها على تفسير آيات خلق آدم الذي نشرناه في المنار واننا نورد هنا ما كنا كتبناه هناك وما زاده عليه رحمه الله واحسن مثراه ونعيم ما كتبه بوضعه بين أقواس هكذا ( ) وهناك ما هنالك

تقدم ان الملائكة خلق غيبي لا نعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذي نقف عنده ولا نزيد عليه وتقدم ان القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف

لكل صنف وظيفة وعمل ونقول الآن ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي (ص) وقد أسندا الى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التي تسمى إلهاماً وخواطر الشر التي تسمى وسوسة كل منها محله الروح فالملائكة والشياطين اذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح ان نمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا ﴿ لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فانما تتصل بها من طرق اجسامنا ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس فاذن هي من عالم غير عالم الابدان قطعا ﴾ والواجب على المسلم في مثل الآية الايمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على انها حكاية تمثيل ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة

وأقول : إسناد الوسوسة إلى الشياطين معروف في الكتاب والسنة واما إسناد إلهام الحق والخير الى الملائكة فيؤخذ من خطاب الملائكة لمريم عليها السلام ومن حديث الشيخين في المحدثين وكون عمر منهم . والمحدثون الملهمون وحديث الترمذي والنسائي وابن حبان وهو « للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا الا من حديث أبي الاحوص . والرواية ايعاد في الموضعين كما ان الآية من الثلاثي في الموضعين فما قالوه في التفرقة بين الوعد والايعاد اغلبي فيما يظهر والافهو غير صحيح واللمة بالفتح الالمام والاصابة

(قال الاستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة وهو ان مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة وهو ان هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجاده فانما قوامه

بروح إلهي سمي في لسان الشرع ملكاً ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني انتوى الطبيعية ﴿ اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة ﴾ والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل أن ينكره وان أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ﴿ وان كان المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه ، والذي لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله على م يختلف الناس وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ولا يصل بعقله الى إدراك كنهه وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال أصدق بغيب أعرف أثره ، وان كنت لا أقدره قدره ، فيتفق مع المؤمنين بالغيب ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ويحظى بما يحظى به المؤمنون ﴾

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الامر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع ، وواحد يقول افعل وآخر يقول لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرا وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه وروح لا تكتنه حقيقتها — لا يبعد ان يسميه الله تعالى ملكا ويسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء من الاسماء فان التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الارادة المطلقة والسلطان النافذ والعلم الواسع ! !

وأقول ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكا فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال « ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم ان كل حادث فلا بد له من محدث ومهما اختلفت

الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب . هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فهما استنارت حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا والذي يتهيأ به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا فإن المعاني المختلفة تحتاج الى اسامي مختلفة » اه المراد منه فليراجع في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء

ثم قال الاستاذ الامام مامعناه: فاذا صح الجري على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الآية الى ان الله تعالى لما خلق الارض دبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من أنواع المخلوقات لا يتعداه ﴿ ولا يتعدى ماحدد له من الاثر الذي خص به ﴾ خلق بعد ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحدّ له والتصرف الذي لم يعط لغيره خليفة الله في أرضه لانه أكمل الموجودات في هذه الأرض واستثنى من هذه القوى قوة واحدة عبر عنها بإبليس وهي القوة التي ﴿ زيّنها الله بهذا العالم زيّنا وهي التي تميل بالمستعد للكمال أو الكامل الى النقص وتعارض مدّ الوجود تمرده الى العدم أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود الى الفناء ، أو التي ﴾ تعارض في اتباع الحق وتصدّ عن عمل الخير وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ﴿ تلك القوة التي خلقت آثارها قوما فزعموا ان في العالم إلها يسمى إله الشر وما هي بإله ولكنها محنة إله لا يعلم اسرار حكمته الا هو ﴾

(قال الاستاذ الامام) ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أبصرت من الحق ﴿ ولست أحيط علما بما فعلت العادة والتقاليد في أنفس بعض من

يظنون انهم من المتشددين في الدين اذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى أو المخدَجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ويتشبثون بأوهام مألوفة لم تثبت أولئك المرضى أو المخدَجون بأضر طعام يفسد الاجسام ويزيد السقام . لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة ! أليس الروح في الآدمي مثلا هو الذي تظهر آثاره في أفراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له : فاذا سمي الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك الدين أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟

ألا لا يسمى الايمان ايمانا ، حتى يكون اذعانا ، ولا يكون كذلك حتى يستسلم الوجدان ، وتخشع الاركان ، لذلك السلطان الذي تعلق به الايمان ، ولا يكون كذلك حتى يلقي الوهم سلاحه ، ويبلغ العقل فلاحه ، وهل يستكمل ذلك لمن لا يفهم ما يمكن فهمه ، ولا يعلم ما يتيسر علمه ؟ كلا انما يعرف الحق أهله ، ولا يضل سبله ، ولا يعرف أهل الغفلة . لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ من أشدهم ذكاء واذربهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل . ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى نورانية الاجسام وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح أو سلك الكهرباء ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك ألا يقع في حيرة ؟ ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرق لما يستطيع النظر اليه لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه ، وكلف نفسه علم ما لا يعلمه ، فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة ايمانا صحيحا واطمأنت بايمانه نفسه ، وأذعن له قلبه ، ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به عقله كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح . فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذي وفر فيها تقاليد حفت بالمخاوف ، لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة . هؤلاء لم يشرق في نفوسهم ذلك

السر الذي يعبر عنه بالنور الأعلى والضياء الملكوتي واللألاء القدسي أو ما يماثل ذلك من العبارات . لم يسبق لقومهم عهد بملاحظة جانب الحق ، ولم تكتحل أعين بصائرهم بنظرة الى مطالع الوجود على الخلق ، ولو علموا ان العالم بأسره فان في نفسه ، وان ليس في الكون باق كان أو يكون الا وجهه الكريم ، وان ما كشف من الكون وما لطف ، وما ظهر منه وما بطن ، إنما هو فيض من جوده ، ونسبة الى وجوده ، وليس الشريف منه الا ما أعلى بذكره منزلته ، ولا الخسيس الا ما بيّن لنا بالنظر الى الاول نسبته ، فان كل مظهر من مظاهر الوجود في نفسه واقع موقعه ، ليس شيء أعلى ولا أحط منه ، فانه كان كذلك ولا بد ان يكون كما قدره ، لو عرفوا ذلك كله لأطلقوا لانفسهم ان تجول في تلك الشؤون حتى تصل الى مستقر الطمأنينة حيث لا ينازع العقل شيء من وساوس الوهم ، ولا تجد طائفا من الخوف ، ثم لا يتحرجون من إطلاق لفظ مكان لفظ

﴿ هذه القوى التي نرى اثارها في كل شيء يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين في بحثه عنها الا الى آثار تجهل اذا كشفت ، وتقل بل تضمحل اذا حجبت ، وهي التي يدور عليها كمال الوجود ، بها ينشأ الناشئ ، وبها ينتهي الى غايته الكاملة ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست أشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت آثارها من عالم الشهادة ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها ، لا يدرك كنهه لاحتجابه بما نتصوره من حياتنا واختيارنا ! ألا ترى ما توافي بأسرارها ، من ينظر في آثارها ، ويوفيها حق النظر في نظامها ، ليستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ، أليس الوجود الإلهي الأعلى من عالم الغيب وآثاره في خلقه من عالم الشهادة ؟ أليس هو الذي وهب تلك القوى خواصها ، وقدر لها آثارها ؟ لم لا تقول أيها الغافل انه بذلك وهبها حياتها الخاصة بها ؟ ولم قصرت معنى الحياة على ما تراه فيك وفي حيوان مثلك ؟ مع انك لو سئلت عن هذا الذي تزعم انك فهمته وسميته حياة لم تستطع له تعريفا ، ولا لفعله تصويرا ، الا قول كما قال الله وبه نقول

(١٧ : ٤٤ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

﴿ أفلا تزعم ان لله ملائكة في الارض وملائكة في السماء! هل عرفت أين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلو كنت الى انها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك ، وأدعى الى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد أبصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من أسرار الكتاب ، فان لم تجد في نفسك استعداداً لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقة ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلم ترمي طلاب العرفان بالريب ما داموا يصدقون بالكتاب الذي آمنت به ، ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته ، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا ، وارضى منك ربهم نفسا ، !

ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما أنزل اليه من ربه على النحو الذي يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقة ، ومن فضل ربه في سعة ، ﴾

ثم نقول في الآية ان ترتيب النظم يلتئم مع هذا التأويل الذي أورده الاستاذ الامام فان هذه المعاني التي وردت بصيغة الحكاية وبرزت في صورة التمثيل جاءت عقيب قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وبقي شيء واحد لم يصرح به فيما مضى ولكنه يفهم منه وهو ان كل قوة من قوى هذه الأرض وكل ناموس من نواميس الطبيعة فيها خلق خاضعا للانسان وخلق الانسان مستعدا لتسخيره لمنفعته الا قوة الإغراء بالشر وناموس الوسوسة بالإغواء الذي يجذب الانسان دائما الى شر طباع الحيوان ويعوقه عن بلوغ كماله الانساني فالظاهر من الآيات ان الانسان لا يغلب هذه القوة ويخضعها مهما ارتقى وكمل وقصارى

ما يصل اليه الكاملون هو الحذر من دسائس الوسوسة والسلامة من سوء عاقبتها بأن لا يكون لها سلطان على نفس الكامل تجعله مسخرا لها وتستعمله بالشرور كما قال تعالى (١٥ : ٤٢ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقال عز وجل (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ﴿ اما سلطان تلك القوة في الفناء وقطع حركة الوجود الى الصعود فلا يستطيع اخضاعه لقدرته من البشر كامل ، ولا يقاوم نفوذه عامل ، وانما ذلك لله وحده . وهذا حكمها في الكائنات ، الى ان تبدل الارض غير الارض والسموات ﴾ فنسأل الله ان يجعلنا من أهل التقوى والبصيرة وان يعيذنا من الشيطان الرجيم . اه ما كتبناه في تفسير سورة البقرة مع ما زاده عليه الاستاذ الامام بعد ذلك

باب المناظرة والمراسلة

﴿ كلمات في النسخ والتواتر وأخبار الآحاد والسنة ﴾

رد على الاستاذ الفاضل الشيخ صالح اليافعي (*

أنا لا أريد أن أناقش أخانا الفاضل والعالم العامل الاستاذ الشيخ صالحا اليافعي في جميع ما كتبه رداً عليَّ فان ذلك يؤدي إلى التطويل والتشويش وملل القارئين وسآمتهم وضياع أوقاتهم وربما خرجنا بالتطويل عن الغرض ، وتركنا الجوهر وأكثرنا الكلام في العرض ، فلذا آثرت أن أذكره بكلمات قليلة في الموضوع هي تبصرة للمفكرين . وعبرة للناقدين (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وقبل البدء في هذه الكلمات أقدم له جزيل الشكر على غيرته على دينه وعلى ما أبداه من الادب العالي في جميع ما خطه قلمه وأسأل الله تعالى أن يكثر بين المسلمين من أمثاله . وهذه هي الكلمات — :

(الكلمة الاولى) — في تقرير بعض شبهات غير المسلمين على مسألة

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي